الرسالة

(غلاطية ٢:١٦–٢٠)

يا إخوةُ إذ نعلّمُ أنَّ الإنسانَ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيح آمنَّا نحنُ أيضًا بيسوعَ المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعمالِ الناموسِ إذ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ أحدٌ من ذوي الجسد* فإن كنَّا ونحنُ طالبونَ التبريرَ بالمسيحِ وُجدنا نحنُ أيضًا خطأةً أَفيكونُ المسيحُ إذًا خادمًا للخطيئة. حاشى* فإنّي إن عُدتُ أبني ما قد هَدَمتُ أجعَلُ نفسي متعدِّيًا* لأنّي بالناموسِ مُتُّ للناموسِ لكي أحيا لله* معَ المسيحِ صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّني وبذلَ نفسَهُ عنّي.

الإنجيل

(لوقا ٨: ٤١–٥٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ اسمُهُ يايِرُسُ وهو رئيسٌ للمجمع وخرَّ عند قَدَمَيْ يسوعَ وطلبَ إليهِ أن يدخُلَ إلى بيتِهِ* لأنَّ لهُ

العدد ٢٠٠١/٤٣

الأحد ٢٨ تشرين الأول

تذكار القديسين الشهداء تَرَنتيوس

وزوجته نيونيلا وأولادهما السبعة

والبار استفانوس السابوي

اللحن الرابع

إنـجيل السَحَر العاشر

الذبائح (تابع)

«أم لستم تعلمون أن جسدكم هو **هيكل للروح القدس** الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد **اشتُريتم بثمنٍ** فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١ كور ٦: ١٩ و٢٠).

+ العهد الجديد:

من يقرأ رسالة العبرانيين يعي ان ذبائح العهد القديم على كثرتها لم تكن كاملة لحل مشكلة الخطيئة، إذ كان على الكاهن أن يقدِّم ذبائح يومية وعلى رئيس الكهنة أن يدخل مرة إلى قدس الأقداس كل سنة ليرش دم التيوس والعجول على المذبح ليكفر عن خطاياه وخطايا الشعب. لكن كل هذه الذبائح لم تكن لتكفر عن خطايا الإنسان إلى الأبد.

رغم ان عادة تقديم الذبائح بطُلت في العهد الجديد مع ذبيحة الرب يسوع على الصليب، إلا ان دور هذه الذبائح لا يزال بارزا في مساعدتنا على فهم مغزى الصليب أي ذبيحة الرب يسوع المسيح «الذي ليس له اضطرارٌ كل يوم مثل رؤساءِ الكهنة أن يقدِّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرةً واحدة إذ قدَّم نفسه. فإن الناموس يُقيم أُناسًا بهم ضعفٌ رؤساءَ كهنةٍ. وأما كلمة القسم التي بعد الناموس فتقيم ابنًا مكمَّلاً إلى الأبد» (عبر ٧: ٢٧ و٢٨).

لفهم معنى الدم والذبيحة لا بد من العودة إلى ما قاله الرب إلى موسى حين أعطاه الإرشادات حول الذبائح: «... لأنَّ نفسَ الجسدِ هي في الدمِ فأنا أعطيتُكم إيَّاه على المذبح للتكفير عنِ نفوسكِم. لأنَّ الدم يكفِّرُ عن النفسِ»(لاو١٧: ١١). هذا ما قاله الرسول بولس في الرسالة إلى العبرانيين: «... وكل شيءٍ تقريبًا يتطهَّر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دمٍ لا تحصل مغفرة» (عبر ٩:٢٢). في كل مرة ترد فيها كلمة «تكفير» هي تعني دفع الثمن – ثمن الفداء.من هنا، لا يكفي أن نقول ان الدم يبرر الخاطئ، بل يجب التشديد على ان هذا يحصل عن طريق دفع ثمن يكفي لتسديد دين الخطيئة نحو الله. فالخاطئ لا يمكنه الظهور في حضرة الله الكلّي القداسة إلا عندما يدفع الثمن ويقبل التعويض، عندها يستطيع الخاطئ أن ينال الغفران وأن يأتي إلى حضرة الله من جديد. هذا ما يفعله الدم حسب لاويين ١١:١٧. وهذه هي خلفية ما كتبه

الرسول بولس إلى الكورنثيين «لأنكم قد اشتُريتم بثمن. فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١كور ٦:٢٠).

في هذا الإطار يصبح الدم هو ثمن النفس، وبما ان نفس الجسد هي في الدم تكون الكفارة أو التكفير عبر تقديم نفس عن نفس، تقديم نفس كثمن مقابل نفس أخرى. لذلك، في العهد القديم، كان الخاطئ مقدِّم الذبيحة يضع يده على رأس الذبيحة لكي تمثله أمام الله.وهكذا فإذا كانت «أجرة الخطيئة هي الموت» (رو ٦:٢٣) فلا بد أن يكون الثمن دمًا، أي موتًا، لكي يكفر عن الخطيئة. في الذبيحة تنتهي الحياة ويصبح سفك الدم رمزًا وبرهانًا على ان الحياة قد بُذلت ثمنًا لخطايا المذنب وكبديل عن حياته الأثيمة.

معنى الذبائح وسفك الدم أخذ بعده الحقيقي في موت الرب يسوع المسيح على الصليب. فقد كان نظام الذبائح الذي أعطاه الله في ناموس أو شريعة العهد القديم، صورة مسبقة عن سفك دم يسوع وموته بدلاً عنا لكي تُغفر خطايانا. مع انه لم يكن قد ارتكب أية خطيئة إلا أنه مات عنا نحن الأثمة لكي يكفّر عنا ويفتدينا، فاشترانا بدمه مرة واحدة وإلى الأبد.

لقد رأى المسيحيون في موت يسوع «حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم» (يو١:٢٩)،ذبيحة عن البشرية و«فداءً أبديًا» (عبر٩:١٢). ذبيحة يسوع ليست كباقي الذبائح، فقد قُدِّمت مرة واحدة وإلى الأبد ولا حاجة لذبائح أخرى: «كل شيء تقريبًا يتطهَّر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة... فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مرارًا كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنه الآن قد أُظهر مرةً عند انقضاء الدهور ليبطل الخطيئة بذبيحة نفسه»(عبر٩: ٢٢ و٢٦). و«أما هذا فبعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحةً واحدةً جلس إلى الأبد عن يمين الله... لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين... هذا هو العهد... لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد، وإنما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطيئة» (عبر ١٠: ١٢-١٨).

فرادة الرب يسوع انه رئيس الكهنة والذبيحة في آن. جاء رئيس كهنة وبدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبديًا (عبر ٩: ١١-١٢)، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة. بفعله هذا حقق ما تحدثت عنه الأنبياء قديمًا وكان كبش الفداء (ذبيحة الكفارة).

لأن ذبيحة يسوع أبطلت كل الذبائح، أو بالأحرى لم نعد بحاجة إلى ذبائح دموية، و«الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الرب طالب مثل هؤلاء الساجدين له» (يو٤:٢٣)، فإن كل كتابات العهد الجديد تدعو المؤمنين أن يعيشوا نمط حياة يكون ذبيحة لله: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضيَّة عند الله عبادتكم العقلية، ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضيَّة الكاملة» (رو ١٢: ١و٢)، و«لكنني وإن كنت أنسكب أيضًا على ذبيحة إيمانكم وخدمته، أسرُّ وأفرح معكم أجمعين» (في٢:١٧)، و«كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجارة حيَّة بيتًا روحيًا، كهنوتًا مقدَّسًا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١بط ٢:٥).

لقد أبطل يسوع بموته كل ذبيحة دموية أخرى،ولم نعد بحاجة للذبائح الدموية. حياتنا وإيماننا وتصرفاتنا وصلاتنا هي الذبيحة غير الدموية التي نقدّمها لله بيسوع المسيح، فرديًا وجماعيًا، كوننا أُقمنا كهنوتًا

ابنةً وحيدةً لها نحوُ اثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً قد أشرفَتْ على الموت. وبينما هو مُنْطلِقٌ كان الجموعُ يزحمونهُ* وإنَّ امرأةً بها نَزْفُ دم منذ إثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً وكانتْ قد أَنْفَقَتْ معيشَتَها كلَّها على الأطِبَّاءِ ولم يستَطِع أحَدٌ أن يَشْفِيَها* دنَتْ من خَلْفهِ ومسَّت هُدْبَ ثوبهِ وللوقت وقفَ نَزْفُ دمِها* فقال يسوعُ مَن لمَسَني. وإذ أنكرَ جميعُهم قالَ بطرسُ والذين معهُ يا معلّمُ إنَّ الجموع يضايقونَك ويزحمونَك وتقول مَنْ لمَسَني* فقال يسوعُ إنَّهُ قد لمَسَني واحدٌ. لأنّي علِمْتُ أنَّ قوَّةً قد خَرجَتْ منّي* فلما رأت المرأةُ أنّها لم تَخْفَ جاءَت مُرْتَعِدةً وخرَّتْ له وأخْبَرَتْ أمامَ كلّ الشعبِ لأيَّةِ علَّةٍ لمستهُ وكيف برِئَت للوقت* فقال لها ثِقي يا ابنةُ. إيمانُكِ أَبرأَكِ فاذهبي بسلامٍ* وفيما هو يتكلَّمُ جاءَ واحِدٌ مِنْ ذوي رئيسِ المجمعِ وقالَ لهُ إنَّ ابنتكَ قد ماتَتْ فلا تُتعِبْ المعلِّمَ* فسمعَ يسوعُ فأجابهُ قائلاً لا تَخَفْ. آمِنْ فقط فتبرأ هي* ولمَّا دخل البيتَ لم يدَعْ أحدًا يدخُلُ إلاَّ بطرسَ ويعقوبَ ويوحنَّا وأبا الصبيَّةِ وأمَّها* وكان الجميعُ يَبكون ويَلطُمون عليها. فقال لهم لا تَبكوا. إنَّها لم تمُتْ ولكِنَّها نائمة* فضحِكوا عليهِ لِعِلْمِهِمْ بأنَّها قد ماتت* فأَمْسَكَ

بيدها ونادى قائلاً يا صَبِيَّةُ قومي* فرجَعَتْ روحُها وقامَتْ في الحال فأمَرَ أنْ تُعطَى لِتأكلَ. فدَهِشَ أبواها فأوصاهُما أنْ لا يقولا لأحدٍ ما جرى.

تأمل

يكتب الإنجيلي ان امرأة بها نزف دم منذ ١٢ سنة دنت من خلفه ومسّت هدب ثوبه لأنها قالت في نفسها «إن مسستُ ثوبه فقط شُفيت». لماذا يا تُرى لم تتقرب منه بجرأة؟ كانت تخجل من مرضها معتقدة أنها غير طاهرة. إن كانت المرأة في دورها الشهري تعتبر نفسها غير طاهرة فكم بالأحرى هذه المرأة التي عندها مثل هذا المرض. إن الناموس كان يعتبر المرض غير طاهر بالكليّة ولذلك نجدها تحاول أن تختبئ كي لا يراها أحد. لم يكن عندها بعد فكرة واضحة عن المسيح وإلاّ لما اعتقدت انها سوف تعبر بدون أن يلاحظها أحد. هكذا اقتربت المرأة في وسط الجمع. كانت قد سمعت عنه انه يشفي أيضًا النساء وانه ذاهب ليشفي الإبنة الميتة. طبعًا لم تتجرّأ أن تدعوه إلى بيتها بالرغم من حالتها المادية المريحة. وأيضًا لم

مقدَّسًا من الرب يسوع. فكلما عملنا بحسب الوصايا ورفعنا العالم بأسره بصلاتنا ذبيحة لله نكون نمارس كهنوتنا الملوكي الذي كان لنا في الفردوس وفقدناه واستعاده لنا الرب يسوع على الصليب.

الكنيسة والدولة في سيرة القديس يوحنا الذهبي الفم

إن المتمعن في سيرة خطيب الكنيسة المفوّه، القديس يوحنا الذهبي الفم، الذي تعيّد الكنيسة المقدّسة لتذكاره في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني، إنّما يظهر له أنّ حياة هذا القديس العظيم ليست مجرّد مثال عادي للتقوى ينبغي احتذاؤه، بل هي ترسم أيضًا إطارًا واضحًا للعلاقة التي يجب أن تسود بين الكنيسة والدولة عندما تحاول هذه الأخيرة فرض منطقها الزمني على من اتّبعوا الإنجيل. لم يكن القديس يوحنا بغريبٍ عن إشكالية العلاقة بين المجتمع والدولة والكنيسة من حيث منشأه والإطار التاريخي الذي عاش فيه. فالذهبي الفم وُلد عام ٣٥٠، أي بعد مرور أقل من أربعين سنة على صدور مرسوم ميلان (٣١٣) الذي سمح للمسيحيين بحريّة العبادة، واختبر،وهو بعد شاب،الأزمة التي سبّبها الإمبراطور يوليانوس الجاحد (٣٦١-٣٦٣) بقراره العودة إلى الوثنية والتضييق على المسيحيين. والمعروف أن القديس يوحنا رافق عام ٣٨٧، وهو بعد شماس في مدينة إنطاكية، المآسي وحملات الاعتقال والإعدام التي عاشتها المدينة إثر تمرّد المواطنين على ضريبةٍ جديدة كان الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩-٣٩٥) قد فرضها عليهم، ممّا أدّى إلى سفر بطريرك المدينة فلافيانوس إلى القسطنطينية بغية استرحام الملك وطلب عفوه. وقد خلّف لنا الأب الكبير مجموعة عظات رائعة ألقاها خلال تلك المحنة مشدّدًا الإنطاكيين وداعيًا إيّاهم إلى استمداد التعزية من قيامة الرب التي كانوا سيعيّدون لها قريبًا،ومؤكّدًا أنّ خلاص النفوس غير مرتبط بقرار الإمبراطور، أكان إيجابيًا أم سلبيًا. والحق أنّنا نعثر في موقف الذهبي الفم هذا، والقائل بأن السلوك الروحي للإنسان يجب ألاّ يتأثّر بتبدّل الأحوال الزمنية، على نموذج أول لسلسلة المواقف التي سيتّخذها بعد اختياره بطريركًا على القسطنطينية، وكلّها تشدّد على استقلاليته كبطريرك في تدبير الشؤون الكنسيَّة انطلاقًا من رسالة الإنجيل وضرورة عدم تدخّل السلطة الزمنية فيها.

لا شك في أنّ الإصلاحات التي أدخلها القديس يوحنا الذهبي الفم على الحياة الكنسيَّة في العاصمة الملكيَّة، غير متهاونٍ مثلاً في إقبال بعض الإكليروس على تجميع المال وواضعًا، عند الضرورة، أموال البطريركية في تصرّف الفقراء والأرامل والأجانب، إنّما كانت ثورةً لا على الصعيد الكنسيّ فحسب، بل على الصعيد المجتمعي أيضًا. وقد ترافق هذا كلّه مع النقد اللاذع الذي كان يوجهه القديس للمشاركين في ألعاب السيرك ذات الشعبية الكبيرة في المدينة الطالعة حديثًا من الوثنية ولمظاهر الترف والبذخ التي كان يتبنّاها بعض المنتمين إلى العائلة والبلاط الملكيين. هذا طبعًا كان يزعج بعض المتنفّذين في البلاد، ولا سيّما الإمبراطورة أفذوكسية التي لم تكن تنظر بعين الرضى إلى آراء يوحنا وتعتبر انتقاداته موجهة إليها شخصيًّا. غير أنّ الأزمة الكبرى بين القديس والسلطة الزمنية اندلعت سنة ٣٩٩ عندما شمل الغضب الملكي

وزير الإمبراطور الأول افتروبيوس، الذي كان قد نصح الإمبراطور قبل سنتين بترشيح يوحنا لمنصب البطريرك، فما كان من الذهبي الفم إلاّ أن سمح للوزير المغضوب عليه باللجوء إلى الكنيسة هربًا من الغضب الإمبراطوري. موقف القديس يوحنا هذا لم يكن محكومًا بصداقته الشخصية للوزير افتروبيوس، بل برأي مبدئي هو حقّ أي إنسان في اللجوء إلى الكنيسة من دون أن يحقّ للسلطة خرق حرمة المقدّسات والقبض عليه. والجدير ذكره أنّ الذهبي الفم اتخذ من هذا الحادث موضوعًا لعظتين من عظاته لافتًا، انطلاقًا من مثل افتروبيوس، إلى إمكانية تبدّل الأحوال الزمنية من العيش الرغيد إلى المحنة القاسية ومدافعًا عن حق الكنيسة في إيواء المغضوب عليهم من دون أن تتعرّض الدولة لهم. لم يكن هذا الحادث ليسرّ الملك وزوجته. بيد أنّ العناية الإلهية سمحت ببقاء يوحنا على السدّة البطريركية ردحًا من الزمن بعد وراحت عظاته تقض مضجع الحكام من جديد، فما كان من الإمبراطور إلاّ أن طلب منه مغادرة المدينة، وذلك عام ٤٠٤ قبل عيد الفصح بقليل. لم يتردّد الذهبي الفم في مواجهة السلطات مرةً جديدة، وذلك عبر رفضه مغادرة القسطنطينية وتصميمه على تعميد الموعوظين وإقامة السهرانية الفصحيّة في تلك السنة. وبما أنّه كان متعذّرًا عليه الولوج إلى الكاتدرائية قرّر القديس إقامة الخدمة الإلهيّة مع رهط من الكهنة المخلصين في المكان المعروف باسم حمّامات قسطنديوس، فلم يبقَ للجنود الملكيين إلاّ اقتحام المكان بقوّة السلاح. ويروي المؤرّخون وكاتب سيرة الذهبي الفم أنّ مياه المعمودية اختلطت بدماء الذين قضوا في ذلك اليوم شهادةً للمسيح. وقد اضطرّ القديس، نتيجة ذلك، إلى دفع ثمن إخلاصه لمعلمه وتمرّده على السلطة باسم الإنجيل غاليًا، فاقتيد إلى الأسر ورقد هناك عام ٤٠٧. وتبقى حياة القديس يوحنا الذهبي الفم، ولا سيّما المراحل الأخيرة منها ورفضه المساومة على الإنجيل طمعًا في استرضاء السلطة الزمنية المنحرفة والمحاولة أحيانًا أن تؤثر على مؤمني الكنيسة خدمةً لمآربها، نبراسًا يسترشد به كل من أراد اتباع إنجيل السيد والسير على خطاه حتى الصليب والقيامة.

سفر غبطة البطريرك هزيم

بعد ظهر الخميس ٢٠٠١/١٠/١٨ غادر بيروت غبطة بطريرك انطاكية وسائر المشرق إغناطيوس الرابع هزيم يرافقه سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس وسيادة متروبوليت جبل لبنان المطران جورج خضر، إلى ميلانو ومنها إلى دير بوزي في شمال إيطاليا، تلبيةً لدعوة رئيس الدير، للإجتماع مع مطارنة المنطقة ورعاياها من أجل التعارف وبحث شؤون مسكونية.وفي ٢٠٠١/١٠/٢١ ينتقل غبطته والوفد المرافق إلى روما حيث ينضم إليهم بعض الأرثوذكسيين الإنطاكيين العاملين في الحقل المسكوني، وفي البرنامج اجتماع مع قداسة البابا يوحنا بولس الثاني واجتماع مع المجلس البابوي لوحدة المسيحيين ومتابعة البحث في الشؤون التي ذكرها غبطته في خطابه في الكاتدرائية المريمية في دمشق عند استقباله قداسة البابا خلال زيارته لسوريا. وسوف تكون الزيارة مناسبة للبحث في شؤون الساعة وما يجري في منطقة الشرق الأوسط والعالم.

تأتِ إليه بصراحة بل خفية اقتربت منه ولمست ثوبه بإيمان. لم يكن عندها شك ولكنها لم تقل سوى «أشفى للحال من مرضي» لأنها قالت علّني أُشفى إن مسسْت ثوبه. لقد اقتربت برجاء لإعادة صحتها وقال عنها الإنجيلي «إن مسست ثوبه فقط شفيت» شاهدته يخرج من بيت العشار وشاهدت الذين كانوا يتبعونه من عشّارين وخطأة، كل هذا أعطاها رجاءً بازدياد. أمّا المسيح فلم يتركها بل جلبها إلى الوسط وأظهرها للجميع وذلك لأسباب كثيرة. هذا بالرغم من إمكانية قول بعض الملحدين انه فعل ذلك رغبة في المجد لأنهم يقولون لم يتركها تذهب بلا ملاحظة. ماذا تقولون أيها الجهلاء؟ هذا الذي يطلب الصمت، الذي ستر عجائب عديدة، أيرغب الآن بالمجد؟ ولكن لأي سبب أتى بها إلى الوسط؟ أولاً: ليبعد الخوف من المرأة، فلا يزعجها ضميرها كأنها سرقت النعمة وتعيش في قلق. ثانيًا: ليخرجها من ضلالها في الاعتقاد أنها عبرت بلا ملاحظة. ثالثًا: لكي يتبيّن للجميع إيمانها حتى يحسدها الآخرون.

القديس

يوحنا الذهبي الفم